.

المحاضرة الثانية عشر : الفلسفة وطرق تدريسها

ـ ما هي الطرائق التي يجب التعويل عليها، في الدرس النظري عموما؟
.إنها الطريقة الحوارية، و الطريقة الإلقائية، و الطريقة المقالية على اختلاف أنواعها

- تعريف طرائق التدريس وأهميتها.

طريقة التدريس هي المنهجية التي يقوم بها المعلم بقصد الوصول إلى الغاية أو الهدف المنشود من الدرس. وهي تتطلب الترتيب والتنسيق والتسلسل للأفكار والأعمال والتقنيات.
وبما أنها تحوي مجموعة من السلوكيات والإجراءات التي تفترض التنظيم فإنها بمعنى أدق تحتاج إلى تخطيط المعلم بشكل مسبق ومدروس قبل المباشرة بتنفيذ الدرس ولهذا يوظف المعلم كل خبراته ومعارفه مع التقنيات العلمية للوصول إلى كفاية الدرس. وللطريقة أهميتها الكبرى في إيصال المعارف والمعلومات والمهارات إلى المتعلم ويمكن إختصار أهميتها بقول "لديكارت" حول الموضوع:"أحرى بنا ألاَّ نفتش عن الحقيقة من أن نفتش عنها بأية طريقة كانت".

الطريقة الحوارية أو التوليدية

1- تعريفها

المقصود بها أصلا، هو فن توليد النساء؛ و تعني في الفلسفة السقراطية، فنَّ حمل المخاطب إلى اكتشاف الحقائق التي يحملها في نفسه، و هذا عن طريق سلسلة من الأسئلة. فلقد كان سقراط (ت.399.ق.م.) لا يدعي أبدا، أنه مدرس، بل كان يقدم نفسه، كزميل متعلم يضع نفسه دائما، على مبدأ رحلة جديدة للكشف، و كداع للآخرين لكي ينضموا إليه. و كان منهجه، يبدأ بمناقشة أيّ موضوع شائع، و يسأل سامعه عن رأيه الذي يكون عادة، مستعدا لإبدائه. و بتوالي الأسئلة، تنكشف الإجابات التي لا تتفق مع الإجابات الأولى. و هكذا، تمضي المناقشة حتى يصل الضحية إلى حالة من الحيرة التامة، و يضطر إلى الاعتراف بأنه لا يعرف شيئا عن الموضوع الذي عبر في البدء، عن رأيه فيه بكل ثقة. و بالنسبة إلى المتعلم الحاذق، تكون هذه النتيجة السلبية، هي المرحلة الأولى فقط، في عملية التربية، إذ تتداعى التحديدات الجديدة. و هذا معناه، التدرج إلى تحصيل الحقيقة، عن طريق تكوين التصورات. و هي الطريقة التي بمقتضاها، يسير الفيلسوف بمحدثيه من فروض ظاهرة الصحة إلى إبطالها، و يحمله بالتالي، إلى وضع فروض جديدة لتوليد الحقيقة.

2- إشراك المتعلم

إن هذا الأسلوب الديداكتيكي يقوم على المشاركة، و ليس على الملاحظة المتحجرة، على البحث و التحليل، و ليس على الوصف و المعاينة، أي مشاركة المتعلم في بناء المعارف، فيتحفز على أخذ الكلمة أكثر مما يَسْمَع، و على طرح الأسئلة أكثر مما يستقبل من معلومات، و على تقصي الإجابات الممكنة، أكثر من البحث عن الإجابة الصحيحة، و على بناء السبل، أكثر من تطبيق الوصفات. إن الأمثل هو أن يتحرك المتعلمون في القسم، أكثر من الأساتذة و أنهم في نهاية اليوم، يكونون أكثر تعبا.

3- دور الأستاذ

إن الأستاذ يجب أن يتقدم كمجرد وسيط بين المتعلم و المعرفة، أو كمجرد دليل، و نعم الدليل، فيحثه على البحث و الاختبار و التفكير، و يحثه في أثناء المناقشات، على التعبير و الحجاج.

إنه صالح لأن يكـون وسيطا ينشئ الروابـط، و متجولا يحسن التنقل من منطق إلى آخر. و هو يحدد تحديدا جد واضح، حقل الحرية الممنوحة.

1 ـ ففي المقاربة التقليدية، فإن الأستاذ، كان هو الشخص الذي يعرف و يعطي و يصحح. أما الآن، فينبغي أن يكون هو مَن يوجه المتعلم إلى اكتساب كفاءات.

2 ـ ثم إن الحوار الفلسفي، يفترض مسبقا، انتقال الفكر البسيط إلى الفكر النقدي و الحجاج الجدلي، و هو حجاج يفترض ترتيبات، و مهارات فكرية معقدة.

إن دوره هو أنه يخلق التموقع، فيصغي و يستفز، و يوجه و يحفز.

4- إمكانات التوليد السقراطي

ينطوي هذا الأسلوب التعلمي في المجال البيداغوجي، على مغزى من حيث إنه يسمح للعلاقة بين التعليم و التعلم ـ و هي علاقة معروفة تقليديا بالخطية ـ بأن تصبح دائرية، و من ثمة، تمنح للمتعلمين، و تساعدهم على اكتساب الوعي بمسؤولية أكبر، أمام تعلماتهم "القدرة" فعندما ينتظر الأستاذ من المتعلمين، إجابات متجانسة بل قل جاهزة، مأخوذة من كتاب مدرسي أو من فكرة، سبق الأخذ بها في عالم الراشدين، فإن المتعلمين يخسرون جزءًا من التحفز الذاتي. إلا أنه عندما يكون إبـداعهم، و حكمهم، و تجاربهم الحياتية أعمالا محترمة، لا بل مطلوبة أيضا، فإنهم يحوزون على الفائدة و يطمحون إلى تجاوزات ذواتهم. و عندئـذ، تنتعش قـدراتهم الفكـرية و الحوارية التي يملكونها، و تتجدد.

5- الحوار و بيداغوجيا المشروع

أ ـ إن تعلم التفكير الفلسفي في إطار الطريقة الحوارية، يقتضي أيضا، العمل الجماعي، و هو سلوك تدعو إليه، بيداغوجيا المشروع؛ لأن المشروع يساعد بذلك، على إدماج المهمات، و المواد التعليمية: فمنهجية المشروع، تستنجد باستحضار المعارف السابقة، و بالتساؤل عن « ماذا يجب أن أعرف؟ ». فهناك عدد من المتعلمين لا يحفظون، لأنهم يجهلون كيف يتصرفون. فالأسئلة: "كيف سلكتُ للوصول إلى ما صنعت؟" و"ماذا أخذتُ من كل هذا؟" أو "هل إنني قادر على أن أصنع هذا، بطريقة أخرى؟" هي أسئلة، تدفـع المتعلمين شيئا فشيئا، إلى حـمل نظرة نقدية إلى أساليب صنعهم واكتساب استراتيجيات مفيدة للتعلم.

إن المتعلم يتجه طبيعيا، إلى العمل لإنجاز المشروع الذي يحمله في رأسه. إنه يوازن بين آرائه، و آراء غيره، و ينمي هويته في العمل الجماعي، و يقوّم عمله طوال المشروع، فيحدد أين الصواب، و أين الصعوبات، و لماذا، حتى يرى كيف يتقدم، و ماذا يجب عليه أن يصحح، و كيف يطرح الأسئلـة التي تسمح لأصدقـائه و لأستاذه، بأن يساعدوه على التفكير، و الوقوف على الحلول؟

ب ـ إن المشروع يساعد على إعطاء التعلم مدلولَه. و يقرن الكثيرون بيداغـوجِيَا الاكتشافِ، بالرضا العـــام و الروح الجماعية المؤسسة على التحـاور و التشاور. أما المتعلـم المتروك لأمـره، فإنه لا يتعلم بيسر و لا بمنهجية و نجاعة، و لا يكتسب الكفاءات الموادية، و لا أمهاتها المقررة في مشروع الفريق.

فلا بد من الوصول إلى تحسيس المتعلمين، بأنهم يشكلون قسما، و أن لكل واحد مساهمة يقدمها، شريطة أن ننشئ، ثقافة التعاضد والتعاون.

ج ـ و من جهة المتعلمين، و بقصد محاربة فشلهم و صعوباتهم المدرسية، يتعين الاهتمام بطرائقهم في التعلم، و هذا، لفهم أين وصلوا، و ما هي الأشياء التي تعرقلهم. و بهذه الإرادة، و

لفائدة المعلمين، يتم الحث على العمل بالكفاءات، لأن ذلك، يحملهم على انشغالهم بمشاريع المتعلمين، في وضعية التعلم.

د ـ و هذا النوع من التعـلم، يساعد من جملة ما يســـاعد، على الفكر النقـدي و حل المشكلات و العمل مع الفريق و التكفل الجماعي. و هذا النوع من النشاطات، بإمكانه، أن ينمي لدى المتعلمين، قيما و سلوكات، تساهم في إرساء المجتمع الديمقراطي.